ـ ماجد عبد المنعم : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر. ط القاهرة دار المعارف.
ـ ماجد عبد المنعم : تاريخ الدولة العربية.
ـ المقريزي : اتعاظ الحنفا. ط الشبال 1967 م القاهرة.
ـ ابن منظور: لسان العرب ج 10.
ـ النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام. ط الاسكندرية.
ـ النعمان : المجالس والمسايرات ط تونس.
ـ النعمان : افتتاح الدعوة، ط بيروت.
ـ يحيى هويدي : تاريخ فلسفة الشمال الإفريقي ج 1.
ـ دائرة المعارف الإسلامية : مقالات شيعة، داعي، جعفر الصادق، على ـ أبو تراب ـ اسماعيلية ـ اثناعشرية.

هذا الشيخ المجهول
(الشيخ أبو زكرياء يحي العيدلي)
881 هـ / 1476 م

علي أمقران السحنوني

على شاطئ وادي بوسلام في منطقة بني عيدل بين جبلي: بني عيدل وبني عباس بدائرة أقبو ـ ولاية بجاية، حمام معدني مقصود يسمى حمام سيدي يحي العيدلي، وعلى بعد عدة مئات من الأمتار وفي السفوح الوسطى لجبل بني عيدل توجد مغارة تشتهر بأنها كانت خلوة لسيدي يحي، وهي مغارة صغيرة، ذات مدخل صغير، وممر ضيق متعرج يفضي الى مكان واسع قليلا في الداخل يمكن أن يستوعب خمسة أشخاص.

ويقال: ان هذا المَمَرْ له خاصية عجيبة، وهي أن الذي يدخل الى المغارة وكان صالحا، وذَا نِيَّةٍ حسنة سليمة دخلها وخرج منها دون أي حادث، وإلا أطبق عليه جانبا الممر وضغطا عليه، والحقيقة أن الممر متعرج فالذي يعرف كيف ينساب فيه دخل وخرج بدون أي حادث، فإن لم يعرف تعرض لبعض المضايقات.

وفي السفح الاخر من ذلك الجبل، وفي منبسط من الأرض توجد قرية «تامقره» أين يوجد معهد سيدي يحي العيدلي (زاوية)، أو معهد «تامقره»، في منطقة بني عيدل وقد عرف هذا المعهد أو هذه الزاوية منذ القرن التاسع الهجري، أي في الوقت الذي اشتهر فيه مؤسسه سيدي يحي العيدلي ـ إن لم يكن قبل ـ وقدم

خدمات كثيرة للثقافة العربية الإسلامية، وكان قطبا جاذبا لكثير من مشهوري علماء الإسلام تبعا لشخصية مؤسسه.

فَمِمَّن زار هذا المعهد الشيخ أحمد زروق المغربي دفين مسراطه بليبيا حاليا الذي أقام بهذا المعهد وقتا، ووضع فيه بعض مؤلفاته الحِكَمية الصوفية، والشيخ عبد الرحمن الصباغ شارح الوغليسية في الفقه والتصوف، والذي حضر وفاة الشيخ يحي العيدلي ورثاه بقصيد.

والشيخ الحسين الورثيلاني صاحب الرحلة المشهورة، والذي ترك لنا شذرات من أخبار الشيخ يحي صاحب هذا المعهد.. وغيرهم.

وممن نوّه بصاحب هذا المعهد بتامقره الشيخ عبد الرحمن الثعالبي دفين مدينة الجزائر وصاحبها، وزميل الشيخ يحي هذا في الدراسة ببجاية.

والشيخ تواتي دفين أعالي مدينة بجاية... وصاحب معهدها قديما. والذي توجد بها حاليا ـ في جزء منه ـ مديرية التربية لولاية بجاية.. وغيرهم[1].

وفي العهد الأخير، وقبل ثورة أول نوفمبر 1954 م برز هذا المعهد بتامقرة كأحد معاقل العلم والعرفان في المنطقة، وعلى رأسه الشيخ الطاهر المقراوي أمدّ الله في عمره وصحبه الكرام، فقصدته الجموع من الطلبة من كل حدب وصوب، وصار أملاً لكل مثقف بالعربية في المنطقة، رغم وجود العديد من المعاهد فيها، لأنه أخذ من القديم ما هو صالح، وفتح أبوابه للعلوم الحديثة العصرية (كما كانت تُدْعى آنذاك) بكل ترحاب وفاعليه فنحن الآن نجد من خريجيه إطارات لها وزنها ومكانتها في الإدارة الجزائرية الحديثة: في جامعات الجزائر، ومصالح التربية الوطنية، والشؤون الدينية، والثقافة والإعلام، وحتى في الدبلوماسية الخارجية.

وبعد استرجاع الجزائر لحريتها 1962 م. تابع عمله كمعهد للتعليم الأصلي، وقصده الكثير من المتعطشين الى العلم والمعرفة، ونالوا منها ما يشاء الله. ثم انتقلوا بعد امتحانات النقل الى معاهد أخرى أعلى كتيزي وزو ـ البليدة ـ وغيرهما.

وانتفع بذلك خلق كثير، الى أن تم ادماج هذا التعليم في التربية الوطنية سنة 1977 ومع ذلك فهناك بعض من يستظهر القرآن ويقرأه بمعمر ذلك المعهد الى الآن.

فهذا المعهد الكريم ظل يعلو شأنه وينخفض منذ تأسيسه الى اليوم، تبعا لتحركات التاريخ في المنطقة، ومسيرته المضطربة علوا وانخفاضا، فنحن اليوم في حاجة ماسة الى من يزيل عن تاريخه هذا الغبار المتراكم عليه من أبنائه، وهم كُثُرٌ والحمد لله فمتى نقرأ هذ...؟

فمن هو سيدي يحي العيدلي هذا؟

لا نكاد نعرف أخبارا كثيرة عن هذه الشخصية المشهورة في المنطقة، والتي يجب أن تدرس في إطار الحركة الصوفية في الجزائر.

وهذه المعلومات القليلة جدا عنه، استقيناها مما كتبه عنه الشيخ الحسين الورثيلاني، في كتابيه:

1) **نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار**... المشهورة بالرحلة الورثيلانية، المطبوعة بالجزائر، بعناية ـ الدكتور محمد بن أبن شنب.

2) **شوارق الأنوار، في تحرير معاني الاذكار**، لوضيفة الشيخ العارف بالله النِبْراس المختار.

مخطوط بمكتبة الشيخ بودريو بهلول (المعروف الهاشمي) الساكن بمدينة بجاية والشيخ العارف بالله، المقصود هو الشيخ يحي العيدلي، وقد عقد له فصلا في آخر هذا الشرح تحت عنوان: «خاتمة» أورد فيه أخبارا عن هذا الشيخ. وركّز كثيرا على الكرامات والرؤي، والأحلام، شأن كتابة الشيخ الحسين الورثيلاني في كل مؤلفاته.

ومع هذا الغموض الكبير، وقلّة المعلومات، فإننا نتَجشَّمُ هذا المجهول، لنذكر بهذا الشيخ، ونصنّف بجهد جهيد ـ هذه المعلومات القليلة عنه ـ والله المستعان.

أوضاع المغرب العربي في القرن التاسع الهجري[2]

في هذا الوقت الذي نفترض فيه وجود الشيخ يحي العيدلي حياً في القرن التاسع الهجري ـ القرن الخامس عشر ـ الساس عشر الميلادي ـ كانت الجزائر الشرقية الممتدة تقريبا من مدينة الجزائر الى الحدود التونسية حاليا، وإلى ورقلة وما وراءها. تعتبر من أجزاء الدولة الجفصية التي مقرها مدينة تونس. وأما الجزائر الغربية

فهي من مجال الدولة الزيانية (بني عبد الواد) التي عاصمتها مدينة تلمسان.

والتقسيم ليس واضحا بهذا الشكل، بل هناك تداخل كبير بين الدول الثلاث التي انبثقت عن الدولة الموحدية وهي:

1) دولة بني مرين التي مركزها مدينة مراكش (المغرب الأقصى حاليا).
2) ودولة بني عهد الواد (بني زيان) التي مركزها مدينة تلمسان.
3) ودولة بني حفص التي مركزها مدينة تونس.

فبينها زحوف، وحروب، ومصادمات، واضطرابات، ومهادنات، ومخالفات، ومصاهرات، طيلة ثلاثة قرون ونيف أي منذ سقوط الدولة الموحدية نهائيا بيد بني مرين (668 هـ / 1269 م) إلى الوجود العثماني بالجزائر وتونس.

وزاد من اضطراب الأمور في المنطقة، بداية التهجم الأوروبي على شمال إفريقيا (المنطقة) من طرف اسبانيا والبرتغال وفرنسا، ودويلات ايطاليا، ومن أشهر هذه الهجومات، حملة لويس التاسع الفرنسي (القديس) الصليبية الثامنة على تونس (669 هـ/5ـ9ـ1270 م) وابتداء هجرة مسلمي الأندلس الى المغرب العربي وخاصة الجزائر (856 هـ/1452 م) وملاحقة الاسبان لهم في مراكبهم، وسقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس (97 ـ 898 هـ/1492 م)، وتوالي التهجم والاحتلال لسواحل شمال افريقيا من الاسبان والبرتغال، وتقوية حركة القرصنة البحرية الآخذة في الانتشار في هذه الأثناء.

فالمنطقة كانت بؤرة حركة شاملة، ومركز اضطرابات واسعة، وتقلبات سياسية كبيرة، كان لها الأثر الفعال في اقتصاديات البلاد، وشحذ هِمم الرجال.

ولمدتها الطويلة، وانكفائها الى الداخل، أخذ أبناؤها يغالب بعضهم بعضا فكل من المرينيين، والزيانيين، والحفصيين في صراع مرير، مع بعضهم، ومع الأمراء المحليين الذين يظهرون في كل مكان كالفقاعات، ما يكاد يظهر حتى يُفجّر من بعض هذه الدول الثلاث مثلا إمارات: مغراوه، وبني توجين، وبني ومانو، وبين مزنى، وابن القاضي،... والمقراني وغيرهم.

ولما كان هذا الانكفاء الى الداخل ضعفت شوكة الجميع في آخر الأمر.

وصاروا يتهافتون إعياء بعد ظهور الأوروبيين والعثمانيين حتى سقطوا أخيرا واحدا إثر الآخر.

ولقد أخذت منطقة بجاية (منطقة سيدي يحي العيدلي) من هذا القلق السياسي المؤثر في أخلاقيات وسلوك البشر بها، الشيء الكثير، لأننا من خلال الشّذرات التي تقتبسها من أخبار الشيخ يحي العيدلي القليلة نتبين هذا القلق: في انعدام الأمن، والسرقات الفاشية، والاصطدامات الدامية بين القرى، والمداشر، والأعراش بهذه المنطقة.

كما نتبين تأثير هذا الاضطراب السياسي على الحركة الثقافية والعلمية، في المنطقة ـ ولعل هذا التأثير لا يقتصر على هذه المنطقة فقط، بل يتعداها الى كامل المغرب الغربي بشمال افريقيا.

نتبينه في استشراء حركة التصوف، واستعمال الغموض، والطقوس من بعض العلماء والمشايخ في أقوالهم وأفعالهم أمام الجماهير المضطربة نفسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا، فصارت تنسب الى هؤلاء الكثير من الخوارق، والأمور الغيبية، بعد رجوع هؤلاء العلماء والمشايخ من ساحاتهم، واعتزالهم في خلوات، ومغارات[3].

ومن هذه الأمور الغامضة التي استعملت في هذه الأثناء وفي كل ظرف مضطرب مثله وما بعدها: الرؤي، والأحلام، كما استعمل غيرنا من المسلمين والأوروبيين: التنجيم، واستقراء الأفلاك لمعرفة المستقبل، والغد المجهول.

وما يُذكر في هذا المجال: مرائي الشيخ عبد الرحمن الثعالبي (786 ـ 875 هـ) 1385 ـ 1470 م) وهو مَن هو في العلم والفقه والسياسة في جزائرنا.

واستعملت أيضا الأدعية، والاذكار كغاية لذاتها، والتركيز عليها، ومثلها الوظائف المختلفة التي كانت مقدمة لظهور الطرق الصوفية المستقطبة حول وظيفة من هذه الوظائف، أو دعوة، أو ذكر ونذكر منها وظيفة الشيخ يحي العيدلي، ووظيفة الشيخ أحمد رزوق اليرنسي المغربي.. وغيرها، وقد وضعت شروح على هذه الوظائف، فصارت مصدرا من مصادر العلم والثقافة، ومعرفة الحركة الصوفية في وقتها، ولا يمكن الاستغناء عن هذه كلها ـ حاليا ـ إذا أردنا أن نعرف حقيقة وضعية

الحركة الفكرية والثقافية في ذلك العهد ، مهما كانت لنا الآن نظرات غير حميدة الى هذا النمط من الآثار لاننا عندما نجد مرائي مطبوعة للشيخ عبد الرحمن الثعالبي العالم الفقيه الحاكم، وعندما نجد شرحا قيما لوظيفة الشيخ يحي العيدلي قام به الشيخ محمد الخروبي الطرابلسي العالم الفقيه السفير السياسي المحنّك، عندما نطلع على عمل هؤلاء وغيرهم نقف حائرين أمام تشكل الفكر الإسلامي الجزائري في ذلك الوقت[4].

منطقة بجاية في مضمار الثقافة:

وفي منطقة بجاية نتبين ملامحها الثقافية والعلمية من هذه الأسماء الكثيرة المنبثة في كل شبر من أراضيها، ولا تزال لها أصداء الى الآن، وان كانت غامضة ومبهمة لأن الوثائق المكتوبة تعوزنا ، والآثار الملموسة المنعدمة تقف حائلا بيننا وبين الجزم بهذا الانتشار الكبير، والازدهار الواسع للعلم والثقافة الموجودة لهذه المنطقة آنذاك.

فإذا دغدغ أحلامنا كتاب «عنوان الدراية، فيمن كان من العلماء في المائة السابعة ببجاية»[5] لأحمد الغبريني، فإنه لا يكفي لان يضع أيدينا على هذه المراكز العلمية، وأسماء الأعلام التي نجد لها ذكرا في هذه المنطقة، وحتى إذا استعنّا بكتب الطبقات والتاريخ العام فإنها لا تخبرنا الا بالأسماء فقط، ولا تشفي غليلنا بمعلومات وأخبار ، حتى نتمكن بها من إقامة دراسات مفصلة، موثقة حول هذه الأسماء، والمدارس، والتيارات الفكرية السائدة في المنطقة آنذاك وفيما بعد.

وأرى أن انعدام التوثيق والوثائق والأخبار، والآثار الكافية في هذه المنطقة، يرجع الى :

1) هذه الحروب والاضطرابات المتواصلة على الأقل منذ سقوط الدولة الموحدية الى الآن فلم يكن هناك وقت للكتابة والتوثيق، وما كتب ضاع أثناء المعارك والزحوف المختلفة، سواء أثناء الحرب، أو أن المنتصرين واعون بقوة أثر التسجيل والكتابة فيعدمون ما كتبه المنهزم، أو ينقلونه معهم، ثم يضيع في الطريق...! والمنتصر اليوم هو المنهزم غدا وهكذا فالحرب سجال بينهم.

2) وان العالم المثقف لا يسجل ما علمه الله درسا أو غيره لتواضعهم، وغلبة

روح التصوف عليهم، أو أنهم كما يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله في حديث له نشر بمجلة «الوطن العربي» حيث قال[6] :

«... والجزائريون عموما شعب يقرأ ولا يكتب، شعب يقدس الكلمة المكتوبة، ولكنه في نفس الوقت يخافها بل يرهبها، ولو كان في استطاعته أن يقطع يد الكاتب خشية ألا يكتب الحق والصدق لفعل، وأخطر الكتابات في نظره كتابة التاريخ...» ومع هذا فإننا نجد آثارا ماثلة لهذه الأسماء من المشايخ والعلماء المجهولين عندنا حقا.

3) أو لعل هذا الغطاء الاستعماري الأخير الذي حاول فصلنا عن ماضينا هو الذي أوجد لدينا هذه البلبلة والحيرة، باخفائه عنا تراثنا، ووثائقنا بكل ما في إمكانه من قوة فبشيء من استرجاع أنفسنا، والبحث عن تراثنا ـ ولو شفويا ـ والاعتزاز به، ودراسته سوف تتضح من جديد تلك المعالم التي نحسبها، ولكننا نجدها محيرة لنا، ومجهولة لدينا.

فمن خلال هذه النظرة يمكن لنا أن نبرز هذه الملامح مثلا في منطقة «زواوه» باعتبار أنها كانت تابعة لبجاية، والنسبة (الزواوي) لا يخلو منها أي كتاب من طبقات الاعلام، وفيها: الغبريني، والفراوسني، واليراتني، والصدقاوي، والمشدالي... وغيرها من النواحي، ومثلها منطقة الصومام التي نجد فيها: بني عباس، وبني عيدل، وبني وغليس،.. وغيرها، ثم نجد بني يعلى، وبني ورثيلان، وزموره... فهذه كلها تعج بالأسماء والمراكز والمعاهد العليمة، بل والمدن مثل مدينة «ثيكلات» قرب القصر. دائرة اميروز ولاية بجايا حاليا. التي لا تكاد نعرف عن هذه كلها الا الأسماء فقط.

ومن هذه الأسماء الشيخ سيدي يحي العيدلي؟

1) لا نكاد نعرف عنه شيئا كثيرا، فنحن نجهل الآن قريته، ومسقط رأسه لانه: «... لما أتى قرية تمقرا، وكان فيها جماعة من الطلبة فاستقرّ معهم مدة، فضجّوا منه، ثم قام واحد منهم فقال لاصحابه: إما أن يخرج هذا الرجل من هذه القرية، أو نخرج منها لأنه لم يكن على طريقنا، ولم نك على طريقه، فعزّ عليهم فراقها، ثم بعد حين هلك جميعهم، ولم يبق لهم أثر.... الا الواحد الذي أمرهم بالخروج[7] ...» إذاً لمّا جاء تمرا كانت فيها حركة علمية دراسية، والشيخ يحي جاء من قرية أخرى،

فاعتبروه دخيلا على القرية، وهموا بإخراجه لولا أن هلكوا، ولسبب التآمر عليه اختلافهم معه في السلوك الاجتماعي في القرية ولعله كان متفوقا عليهم علما وتقوى، فأثار غيرتهم منه، وحسدهم له لالتفاف الناس حوله، وميلهم اليه، وانصرافهم عن هؤلاء الطلبة، ثم لكل جديد لذّة، ويعني أيضا أن نزول الشيخ يحيى بالقرية كان بعد أن استكمل ثقافته العلمية، وصار عالما، ولعله بعد أن رجع من اعتزاله في منطقة الحمّام، في السفح الغربي لذلك الجبل نفسه، أو بعد رجوعه من دراسته بمعاهد بجاية..؟

ثانيا: **ولا نعلم كذلك اسما لأمه، ولكنها تذكر في موضعين:**

1) أنه لما رجع من اعتزاله الناس واختفائه عنهم وسياحته التي دامت عشر سنين وجد أن قريته قد قامت بعادة الوزيعة[8] يجمعون المال، ويشترون البقر، ويذبحونها في يوم مشهود معلوم، ثم يوزع لحمها على ديار القرية، أو على عدد سكان القرية، وفي ذلك اليوم لم يقسم أهالي القرية لأمه الساكنة بينهم وفي حال حياتها.. من غير اكتراث بها[9].. وعند ذلك ورد عليه حال عظيم[10].. فأظهر الأهالي له الندم، واحتالوا على كسب ثقته، وجبر خاطره بترضيته.. ولكن الخبر هنا يدخل في حيز الأسطورة، اذ يقول: «... ولم يجد شيئا باقيا، من ذلك الثور الا الجلد والرأس.. فأمسك الجلد من الذيل، وقال له: قم بإذن الله، فقام الثور يمشي كما كان أول مرة[11]..، وهذا الأمر: قيام الثور بعد ذبحه، ذكر مع كثير من غير الشيخ يحيى العيدلي، ولنتذكر هنا معجزة سيدنا ابراهيم عليه السلام».

2) وذكرت أمه مرة أخرى عندما قال يوما «.. أني ما تزوجت الا امتثالا لأمر شيخي سيدي أحمد بن ابراهيم البجائي، ورفقا بأمي في خبر يقول: «.. ان المخبر سأل سيدي يحيى على أمر أشكل عليه، وهو أن أرباب البصائر يعلمون أحوال الآخرة، وما أعد الله فيها الحصول للخلق، وبسبب ذلك يقول الأنبياء وأكابر الرسل: نفسي، نفسي، وهم يتزوجون ويلدون مع علمهم بذلك، إذ هم السبب في إيقاعهم في تلك المهالك؟ فقال لهم الشيخ سيدي يحيى: كأنك تعترض علي في أمر تزويجي، وانما تزوجت مرافقة لأمي اذ هي التي كلفتني بذلك، وأما نفسي فقد فرّت منه وعزمت أن لا أتزوج أبدا، وكذلك شيخي سيدي أحمد بن ابراهيم فقد أمرني به فلم أجد بدلا منه[12]»..

وفي المنطقة كلها يتزوج الولد ـ ولو كان صغيرا ـ لا لإتمام نصف دينه فقط، وإنما لتوفير اليد العاملة أيضا، إذ تشارك تلك الزوجة في أعمال البيت من طبخ، وتنظيف، وجلب الماء من العين، ولَقْط (جمع) الزيتون، ونقش وغرس الحديقة والحقل.. وغيرها من الأعمال، فالعامل الاقتصادي في الزواج له المكان الأول في إتمامه، ولعل هذا ما يقصده بكلمة: مرافقة لأمي.

3) وأما أبوه فان النص يذكره باسم: أحمد ويصفه ولي صالح.. وأظنه عالما[13]... وقد مات عام اثنين وخمسين وثمانمائة... (852 هـ ـ 1448 م)، ويعني أن الشيخ يحيى من أسرة علم وثقافة، فأبوه عالم درس ودرّس، ولكنه لم يشتهر شهرة ولده سيدي يحيى، ولعله كان مستضعفا في بلده، أو كان ميتا لما حدثت واقعة «الوزيعة»، أو أنه أنفصل عن زوجته، فتركها، وجرى لها ما جرى، لان الأخبار لا تذكر هذا الا عرضا، ثم ان هذا النص يؤكد أن الشيخ يحيى من أهل القرن التاسع الهجري، حيث ذكرت سنة وفاة أبيه بكتابة الأرقام بالحروف.

ولا نعرف لميلاد سيدي يحيى تاريخا، وان كنا نعرف أنه توفي في عام (881 هـ ـ 1476 م) ويقول النص: «... وتوفي الشيخ رضي الله عنه ونفعنا به عام (881 هـ) احدى وثمانين وثمانمائة وأظنه تاريخه لاني نقلته من ورقة مقطعة[14]..» توفي ربما عن سن عالية، لأنه جاء في مراسلته مع الشيخ عبد الرحمن الثعالبي المتوفي سنة (875 هـ ـ 1470 م) أن الثعالبي لا يقدر على التأليف، لان فيما ألّفه الكفاية، الآن وقد كبرت سنّي، ووهن عظمي، فلا أقدر على التصنيف..» ولا يعرف تاريخ هذه المراسلة الا أن الثعالبي توفي قبله بست سنوات (875 هـ) عن سن تناهز (89) سنة، لأنه ولد في سنة 786 هـ)، ودرسا معا على يد الشيخ أحمد بن ابراهيم البجائي المتوفي بعد سنة (840) هـ، ولعل هذه الدراسة كانت أوائل القرن التاسع الهجري، لان الثعالبي نزل بجاية في سنة (802 هـ ـ 1399 م) وبقي بها الى سنة (809 هـ ـ 1406 م) ولقي بها الأئمة العلماء: علي بن عثمان المنجلاتي، وسليمان بن الحسن، وعلي اليلياتي، وعلي بن موسى، وأحمد النقاوسي، وأبا القاسم المشدالي[15]...، وقال سيدي عبد الرحمن الثعالبي «... لو أن رجلا لم يعص الله قط، لكان سيدي أحمد بن ابراهيم.. وهو شيخ سيدي يحيى،» وسيدي عبد الرحمن[16].. ومن بجاية

انتقل الثعالبي الى تونس ثم مصر، ثم رجع الى تونس سنة (819 هـ ـ 1416 م)[17].

5) ولا نعرف عن دراسته، ولكن يبدو ـ كعادة ذلك الوقت ـ أنه درس في قريته على أبيه، وعلى مشايخ تلك المنطقة التي نشأ فيها، ثم انتقل الى بجاية حاضرة العلم والعرفان وكانت تموج بما فيها من العلماء الأعلام، والمفاتي، والفقهاء.. فاختار ما شاء من مجالس العلم في مختلف مساجد ومعاهد بجاية، حتى وصل الى الشيخ العالم الزاهد الفقية أبي العباس أحمد بن ابراهيم البجائي.. «من أكابر فقهاء المالكية في عصره، من أهل بجاية، قال ابن عزم: انه كان عالمها»[18].. وتوفي بعد سنة (840 هـ ـ 1436 م)، ويذكر النص كيفية اتصال الشيخ يحي العيدلي بشيخه أحمد بن ابراهيم قائلا: «.. ان الشيخ أول مشيه لبجاية لزيارة سيدي أحمد ابن ابراهيم.. لما وصل الى الجامع الأعظم إذ سيدي أحمد هناك، مشتغلا بالعبادة، فدق سيدي يحي عليه البْاب، يستأذن في الدخول، فقال له الشيخ أحمد: ما تريد؟ قال الشيخ يحي: أريد أن تعلمني في أمر ديني، فقال له الشيخ أحمد: اذهب الى المفتي.. وبعد هنيهة تحرّك الشيخ أحمد الى الباب يفتحها، وهو يقول: آه آه ان الرجل من أهل الخير، وفتح الشيخ يحي الباب، وأخذ النعل منه، وأجلسه بين يديه، ووضع يده على رأس الشيخ يحي... وتعجب من حضر في ذلك المسجد، وعلّق أحد الحاضرين بأنه: لم ير الشيخ أحمد، عمل ما عمله مع الشيخ (سيدي يحي)، لانه كان شحيحا بوقته، مستغرقا في عبادته، لانه إذا أراد (أحد) أن يسأله في أمر ينتظر خروجه من عبادة، فيجيبه بسرعة، ثم يدخل في عبادة أخرى[19]..)

6) ويستشف من هذه الأخبار القليلة: أن الشيخ يحي لم يخرج من بجاية الا بعد أن علا صيته كعالم وفقيه ومتصوف، وبعد أن أوجد له مكانا عند حكام بجاية، بحيث أمكنه من بعد أن يسعى كثيرا في أمور الناس لدى الحكام، ويجد الأبواب مفتوحة أمامه، أو ان الشيخ كان صنيعة للدولة الحفصية في منطقته، له دالة على حكام بجاية، لأنه كان يراجع الحاكم بعنف ولا يجد الحاكم أمام طلب الشيخ الا الامتثال ، وتحقيق ما طلب مهما كان الأمر.

فمثلا تشفع لدى السلطان عبد العزيز ـ عزوز ـ المتوكل[20] (796 ـ 838

م)هـ) (1393 ـ 1434 م) في رجل من قرية «تابوده» من بني عيدل، اتهم بوجوده لكنز في داره، ولم يسلمه للسلطان، فأُخِذَ ، فتدخل الشيخ لعلمه بأن هذا الرجل لم يجد شيئا، فلما اطلع السلطان على كتابه أطلق الرجلْ حيناً[21].. وهكذا يسعى الشيخ يحي لدى الحكام دائما في حوائج المسلمين والناس بكتاباته، وتوصياته أو بالسعي معهم الى المعنى بالأمر.

ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء يستشيرونه في أمورهم حتى الخاصة منها، فغالبا ما يقفون عند مشورته، والا حل بهم ما لا تحمد عقباه..، فقائد من بجاية يدعى: محمد ابن العالم كاتبه في أمر تخليه عن عمله بعد ما طلبه السلطان، يريد هذا القائد الاحتماء بالشيخ والاعتزاز به، ويبقى في عمله رغما عن السلطان، ويظهر أن سلوك القائد غير حميد، لان الشيخ أشار عليه بالتخلي، فلما راجعه القائد محمد، غضب الشيخ، وقال كلمته فيه.. ليس لي الآن معه كلام، ولكني أكلم غيره[22]. فلم يمض وقت حتى أخذ السلطان ذلك القائد، وعزّره، وسجنه، عاما ونصف عام، وغرمه ألف دينار[23].

وهذا يدل على خطورة ما يقوم به الشيخ في المنطقة، وأنه كان متفتحا، ومطلعا على مجريات الأمور فيما حوله، وفي العالم، وليس مقتصرا على النسك والتجهد.

7) وللشيخ أملاكه يرعاها، ويتعيش منها، فقد أخبرتنا هذه الشذرات بأن من يستبيح أملاكه هلك، حتى الطير (الزِّيطوط)[24]، ولا ندري بالضبط أين توجد هذه الأملاك، الا ما كان من تحديد لعزلة[25] بمنطقة أمالو[26]..، واقترنت هذه العزلة بخبر هلاك بغال لعابري سبيل مروا بتلك العزلة فأطلقوا بغالهم ترعى فيها، فأصبحت هالكة، وحمل هؤلاء العابرون سروج بغالهم، على ظهورهم[27].

8) وللشيخ أولاد وبنات، رتب لهم استاذا خاصا، يعلّمهم القراءة والكتابة والقرآن، والعادة الجارية في معاهد العلم والزوايا، أن أولاد الشيخ يتعلمون بمعزل عن الطلبة الآخرين في بداية تعلمهم، وبعد أن يكبروا ينضمون الى طلبة المعهد، ولعل هذه العادة هي التي يشير اليها الخبر.

وقد اختار لتعليم أولاده أحد تلاميذه النجباء الأوفياء، وهو الشيخ عبد الرحمن المتناني، فكان أن تفقده يوما ليطلع على سير دراسة أولاده، فأعجب بطريقة شيخهم المتناني، وحسنها وفائدتها، فأراد أن يعبر لهذا الشيخ عن امتنانه له فاحتار بماذا يكافئه، فاهتدى الى تزويجه ببنته (حليمة)، فنفذ الأمر حالا، فصار المتناني صهرا له، إضافة الى تلْمَذَتِه عليه، وتعليمه أولاده [28]. كما زوّج بنتا له أخرى لتلميذ له آخر هو الشيخ بهلول بن عاصم، ولا نعلم غير هذا عن أولاده وبناته [29]..

9) وإذا كنا لا نعرف من أساتذته الا الشيخ أحمد بن ابراهيم البجائي، فان الأخبار تذكر أسماء لبعض تلاميذه، وأسماء بعض معاصريه الذين يتصل بهم اتصالا وثيقا ويتراسل معهم، كما سجلت في حقه أقوال بعض من عارفي فضله وعلمه وصوفيته:

1 ـ فقد شهد له بالفضل والعلم والريادة، الشيخ عبد الرحمن الصباغ المقيم بمعهده (معهد الشيخ يحيى) بتمقره، وهو عالم وأديب، وذو تصانيف متعددة، مفيدة فتآليفه تنبئ عنه، وكلامه يدل عليه، فمن تآليفه:

ـ شرح الوغليسيه في الفقه المالكي ـ لخصه من شرح أكبر بأمر من الشيخ يحيى نفسه، وذلك الشرح الكبير الواسع للشيخ عبد الكريم الزواوي.

ـ شرح بردة البوصيري لخصه من شرح الامام ابن مرزوق العجيسي التلمساني.

ـ وعند وفاة الشيخ يحيى العيدلي، وكان شاهدا لها ـ رثاه بقصيدة عظيمة [30]..

2 ـ وشهد له الشيخ أحمد زروق اليرنسي المغربي (846 ـ 899 هـ) (42ـ1443 ـ 1493 م)، الذي نزل بتمقرا وألف فيها بعض كتبه. يقول في الشيخ يحيى: «أنه طود العلم، وشمس الحق والعرفان وقد ذكره في كناشه. ويذكر أنه ألف بعض تآليفه في مسجده المعلوم بتمقرا».

وعظمه غاية التعظيم، بحيث أخذ عنه العلم الباطن. ويذكر أيضا: أن له مع الشيخ يحيى مساجلات علمية كثيرة، منها: اختلافهما في لفظ الجبروت». هل هو بهمز أو

بغير همز، فالشيخ زروق يقول بغير همز لعدم وجود: فعلوت بالهمز، والشيخ يحيى يرى أنه بالهمز.. والشيخ زروق هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى اليرنسي الفاسي الشهير بزروق، عالم مؤلف كبير، زاهد، فاضل، مؤلفاته كثيرة، وقد عرّف بنفسه وأحواله وشيوخه في كناشته، فقدره فوق ما يذكر، تراجع ترجمته في أمهات كتب الطبقات، وقد توفي بمسراطه سنة: 899 ه ـ 1493 م) بينما ولد بفاس سنة (846 هـ / 42ـ1443 م) [31].

3 ـ وشهد له الشيخ عبد الرحمن الثعالبي (786 ـ 875 هـ) (1384 ـ 1470 م) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف الثعالبي، صوفي، مفسر، من أعيان الجزائر وعلمائها، ولد ونشأ بناحية وادي يسر جنوب شرق مدينة الجزائر، وتعلم في بجاية، وتونس ومصر، ودخل تركيا، ثم حج، ورجع الى الجزائر وتولى القضاء مكرها، له أكثر من تسعين كتابا، توفي في 23 رمضان 875 هـ ـ 1470 م ودفن بجبانة الطلبة في مدينة الجزائر [32].

وقد سجل لنا الورثيلاني في رحلته مراسلة بين الشيخين: الثعالبي والعيدلي يقول فيها ما نصه:

... أما سيدي عبد الرحمن الثعالبي فانه ردّ رسالة للشيخ سيدي يحيى، بأن شاوره على أمور ثلاثة: أحدهما: من أُزَوِّج ابنتي؟: والثانية: من يكون وصيا على أولادي؟، والثالثة: تجعل تأليفا لأصحابي.. فأجابه الشيخ الثعالبي عنها، بأن: بنتك زوجها من تلميذك فلان، وأما الوصية، فأنت الوصي عليهم حيا وميتا، وأما التأليف فقد ألفت ما فيه كفاية والآن وقد كبر سني، ووهن عظمي، فلا أقدر على التصنيف [33].

4 ـ وشهد له الشيخ تواتي البجائي، المعاصر للشيخ يحيى العيدلي، وهو ولي صالح كبير الشأن عالم على الإطلاق، وله مؤلفات، كما كنا نسمع... وقد سمعنا أن فتواه لا ترد الى توزر... وله زاوية، وطلبة إلى الآن...، وخدام في الجبل، وغيره [34]..

وكان بينهما تعاون اقتصادي، فقد بعث الشيخ تواتي الى صديقه الشيخ يحيى في إيجاد زيت الزيتون له، ففعل..، وكانت بينهما مراسلات ذكر منها صاحب

الرحلة الورثيلانية ما يلي: «.. وأما سيدي تواتي فقد عظمه غاية التعظيم بأن كتب الشيخ سيد يحيى: .. بعد السلام والرحمة والبركة، أنك ذكرت شيئا من أحوالنا في الصلاة منتقدا، أو قادحا فيها..؟

فأجابه رضي الله عنه، بأن قال له بعد تعظيمه بما يستحقه من التعظيم: والله ما ذكرنا أحوالك الا تبركا بها فقط، وكيف لا وأنك أحببت أمورا درست، وطرقا ذهبت، وأنت المحق الفاضل صاحب الوقت... أو كلاما يقرب منه[35]..» ويذكر الشيخ الحسين الورثيلاني نص رسالة الشيخ تواتي، في كتابه **شوارق الأنوار**.. بما يلي نصه:

... وأما كتاب سيدي تواتي من بجاية، وهذا نصه: «الحمد لله وحده، العارف، المنتقي ظلاله عن اليمين والشمال، الواضح الدليل الدال على السنة بحقائق الادلال، المثبت طريق القوم، السالك سبيل من تقدم من النجباء الرجال، مقام أخينا الشيخ، الذي أخذت حقائقه عجائم القلوب وصفة مرآة قلبه، وانطبعت فيها صور المغيبات، فترجم لسانه عن الغيوب، العالم الذي أخلص ابريزه بنار المجاهد، والمتقلب بين الندب والوجوب، الزاهد، الناسك الوارع، الغوث لجلب المسارة وإزاحة الكروب، سيدي أبي زكرياء، أثبت الله قدمه في مزال الأقدام، وأعلى رتبته في رتبة أوليائه الكرام، محبيكم ومعتقدكم شوقا محمد ـ لطف الله بالجميع، ينتهي لحضرتكم القدسية، ومنازلكم السرية سلام عطر النسيم، مسفر عن كل خلق كريم، ووجه وسيم، ورحمة الله تعالى وبركاته، كتبنا لكم من بجاية حرسها الله تعالى كتب الله لكم خيرا يشمل أقاربكم، ويعم من تحيطه عنايتكم، والأحوال بفضل الله نائرة، والأعين بفضل قارّة، والحمد لله، ووصل أعز كتابكم، ظاهر الشوق إليكم، وارتقاب وتطلع لأبنائكم ممن يصل من جهتكم، فشكرنا الله تعالى على شكر يوجب الدوام، ويقربكم الى الله زلفى في دار المقام، ما قررت لكم بجنابنا من المحبة، فعدنا لكم أضعاف ذلك، مما تعده وسيلة الى الله تعالى وقربه، وذكرتم على أوقات الصلاة ما ذكرتم، وأشرتم في ذلك إلى ما أشرتم! يا نعم السيد الأخ، ان كان ما نقل لك، فالتبرك بذكركم، لا لاختبار أمركم، فانكم أهل كمال وتحقيق، أنوار يُسْتضاءُ بها في هذا الطريق، وعرفتم بالخلوة الجديدة الكور، القائم بناؤها على الصدق والقرب، متعك الله بكل وارد كريم، وكشف لكم ما يبهجك، ويرغم الشيطان الرجيم،

وقلوبنا والحمد لله دائمة الاتصال وما النظر الى الأجساد بحال، فرب مجاورك لا تعرفه، ومباشر وأنت متصفه، والمقدر كائن، والمسكين ينادي يا للسالكين، واستمطاركم سحائب الدعاء من لحبكم هو المقصود منكم، فأعطونا منكم ما تطلبون منا لكم، فالدعاء على ظاهر الغيب مجاب، وليس بينه وبين الله تعالى حجاب، والله يجمع ويشمل جمعنا برضاه، ويُجِرْنا من حَرِّ لَظاه وهو حسبنا ونعم الوكيل، وعائد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته[36]... ولا يوجد توقيع أو تاريخ بهذه الرسالة.

5 ـ وشهد له الشيخ سعيد الصفراوي البجائي، شيخ محمد بن علي البجائي الفراوسنسن[37]، وقد مات قرب قسنطينة، وهو قاصدا الحج مع تلميذه فحمل الى قسنطينة ودفن فيها بكدية عاتي... وخرج أمير البلد لجنازته، وهو عامل لملوك تونس الحفصيين، وذلك في القرن التاسع[38].. وقال عن الشيخ يحي في نص.. وقد قال سيدي سعيد السفروي حين كان ببجاية: قد كتب لي سيدي يحي العيدلي كتابا، ما رأيت كتابا مثله، وآخره: وادع الله لي أن يرزقني النظر الى وجهه الكريم من غير ضراء مضره، ولا فتنة مضلة، انه جواد كريم.. فعلمت أنه ممن فتح الله عين قلبه.. فقيل: ادع يا سيدي له، فقال: اللهم اختم لي بالسعادة.. فهذه شهادة منه للشيخ رضي الله عنه[39].

6 ـ ومن العلماء المعاصرين له غير من ذكر، وكانت له معه صداقة وطيدة، الشيخ علي بن موسى الزواوي، صاحب المقام المشهور بناحية تيزي وزو ـ ذراع الميزان، وله رهبة روحية عظيمة عند العامة في تلك المنطقة، ويعرف عندهم باسم «سدي علي أوموسى»، قال فيه الشيخ يحي العيدلي: ... علي بن موسى فيه خاصية الرقية، لم تكن في أحد من أهل عصره[40].

وأما تلاميذه فلا شك أنهم كثيرون، ولكنه يكفي أن نذكر من وجدنا له ذكرا وشأنا فيما بعد: فإلى جانب الشيخ أحمد زروق المغربي، والشيخ عبد الرحمن الصباغ، نذكر السادة:

1 ـ أحمد بن عبد الرحمن: جد أولاد مقران، يذكره الورثيلاني بقوله: «الولي الصالح... أمين بلده وهو ـ والله أعلم تلميذ الشيخ سيدي يحي...» ويقول

الخبر : .... أن أحمد بن عبد الرحمن هذا رأى يوما حُلما بأنه خرجت من بوله نار، فعبرها له الشيخ يحيى: بأنه سيكون من أولاده من يكون من أهل الظلم والجور... وقد كان».

وفي بجاية مقام باسم «محمد امقران» وهو من آخر القرن العاشر الهجري، وأخذ من القرن الحادي عشر.. يقال أنه جد أولاد مقران أيضا[41].

2 ـ يذير بن صالح الجمهوري: أصلا، والعيدلي مسكنا، التمقراوي مدفنا مع شيخه يحيى العيدلي ولا نعلم من اخبار هذا الشيخ الا ما ذكره الورثيلاني في رحلته، وان منطقة من جبل بني عيدل يدعى جبل سيدي يذير (أذرار سيدي يذير[34]..»

3 ـ ابراهيم بن عمار: أخو الشيخ يذير في الله والآخذ عن شيخهما يحيى العيدلي وهو: «الولي الصالح... ذو البركة البينة، والأحوال المزينة، والأمور المستحسنة، المجاهد نفسه حق الجهاد ... كما يقول الورثيلاني في رحلته[42].

4 ـ بهلول بن عاصم: تلميذ الشيخ يحيى، وزوج احدى بناته، يحليه الورثيلاني: بالولي الصالح والشريف الواضح.. وكرامته كثيرة.. وحال أولاده مع الناس كذلك.. وقد أصلح صاحب الرحلة الورثيلاني لما زار قرية هذا الشيخ.. بين أولاده، وبين جيرانهم، ويقول:.. وأولاد الشيخ كثيرون، غير أن فيهم من يقرأ القرآن، ومن يفهم العلم، وكثير منهم على طبع العامة، من تقليدهم سيف الفتنة وأحكام العوائد، نعم غلب عليهم الكرم[43]..

وهو : ... بهلول بن عاصم الصغير، بن عاصم الكبير، فجده أحمد بن ابراهيم..: ينتهي نسبه الى ادريس الأكبر..: وهو «.. من سوس الأدنى، ثم انتقل الى الساقية الحمراء، ثم الى (سبعة مذابح) ثم الى بيت الله الحرام، إلى قبر رسول الله ﷺ، ثم زار بغداد، ومرّ بالقيروان بعد رجوعه، فنزل في منطقة تدعى «بر الفكرون»، ثم انتقل الى بلاد حنيفة، وبقي فيها واحدا وعشرين سنة، وأصى أولاده الكثيرين بالرحيل الى بلاد زواوه (لان آخر الزمان يكثر الباطل في السواحل)، وفرّق أولاده على البلدان، فبعث: محمد إلى بلاد عزوقة، وأحمد: الى بلاد معاتقه، ومحمد (بالفتح) الى بلاد بني عمرو. وعلي: الى بلاد تاقرْبُوزْتْ، ويحيى الى بلاد الدُعراش، وعيسى بقي في بلاد حنيفة مع أبيه، وموسى يوجد في بلاد

المشرق! ولا يعرف له مكان..».

ويذكر صاحب المخطوط الذي ننقل عنه، كلمه «.. في تحرير عماله الجزائر في زمان سيدي عبد الرحمن الثعالبي، ومن معه من الأولياء الصالحين، مثل السادة: سالم بن مخلوف ، وابن الدين وأبو مدين الغوث، وأحمد بن يوسف الملياني، وعبد العزيز بن الحاج، وعلي بن موسى، وعيسى بن محمد (بالفتح)، وابراهيم السلامي، وأحمد بن عبد الرحمن ، ويحيى العيدلي، والحاج عمر، وعمر الشريف[44]..

ولعل الشيخ بهلول بن عاصم، شارك في جهاد ومدافعة المهاجمين: الاسبان والبرتغال والايطاليين والفرنسيين ـ لسواحل الجزائر، والعصر كما رأينا عصر هجوم الأوروبيين على سواحل المغرب العربي وانتشار حركة القرصنة، وجمعه لهؤلاء العلماء في مكان واحد، رغم اختلاف أزمانهم وعصورهم، فأنما للتبرك بهم والاستعانة ببركتهم حسب الاعتقاد السائد آنذاك وهناك حكايات أخرى ذكرت في حقه (بهلول بن عاصم) لا داعي لذكرها، لأنها أدخل في الأساطير منها في الأخبار الواقعية.

5 ـ يحيى بن موسى الزواوي: تلميذ الشيخ يحيى العيدلي ، يقول الورثيلاني «... ظهر أمره ظهورا فاشيا، يزار دائما، وسيفه ماض لمن يتعدى على أولاده، وسبب اتصاله بالشيخ يحيى العيدلي : أن سيدي يحيى بن موسى ذهب الى الشيخ يحيى العيدلي ليسرقه، فضبطه الشيخ العيدلي، واطلع على عمله، فتاب وعفا عنه.. وأولاده على القراءة واطعام الضيف والطاعة، والفضل[45]..

ويفهم من كلام علي بن فرحون[46]، أن يحيى بن عبد الله بن موسى الحسني، هو جد أولاد نعمان المنبثين في عدة مناطق من القبائل الكبرى والصغرى، مثل: يتورغ، وبني عيسى، وبني صدقه، وبني بترون، وبني لحسن يقال لهم سيدي عبيد، وبني عمراوه على شط وادي يسر، وجبل افليسه، وبني سناسه يقال لهم سيدي هارون، وبني جناد، وبني وغليس، وبني ورثيلان[47].

ولعل هذا الشيخ يحيى، هو الذي أنشأ معهد (زاوية) بأعالي بني وغليس، دائرة سيدي عيش، ولاية بجايه حاليا، وهو مشهور بما خرّجه من العلماء والمشايخ، وممن وار هذا المعهد ونوّه به الرحالة التونسي التركي الشهير السيد: أحمد بن مصطفى

المعروف «برناز»، حيث ذكره في رحلته الى الجزائر «الشهب المحرقة فيمن ادعى الاجتهاد» لولا انقطاعه عن المخرقة[48].

وفرع هذه الأسرة ببني ورثيلان هم: الشيخ يحيى أوحمودي، الذي درس جدهم على اللغوي الشهير العالم الشيخ مرتضى الزبيدي (1732 ـ 1790 م) وبقيت إجازة هذا الشيخ للسيد يحيى أوحمودي في عقبه الى عهد قريب بل لعلها لا تزال عندهم الى الآن[49].

10) وللشيخ يحي العيدلي إلى ما تقدم من السعي في أمور الناس بالخير، والتدريس بمعهده أو مسجده[50]، الذي بناه بيده ، له أيضا دور وَعْظِ الناس وارشادهم، والفصل في منازعاتهم، وتسيير معهد يقصده الطلاب للتعلم والدراسة، والزوار للاستفتاء والإرشاد، فالجميع يطعمهم الطعام، ويمهد لهم سبل الإقامة والراحة، وهذا ليس بالقليل لا يقدر عليه الا من أعانه الله ووفقه.

وأخيرا فهل نفضت قليلا من هذا الغبار المتراكم على هذه الشخصية العلمية الرائدة في وقتها؟ وهل تمكنت في لمّ شتات أخبار مبتورة، متفرقة مغرقة في الغموض والأسطورة، فجعلتُ منها كلاما يُقرأ، وأخبارا تُفيد؟. فلعلي قد أنرت شمعة، وأشعلت فتيلة مصباح زيت للمدلجين أمثالي علهم يصلون فيما بعد ـ إلى استعمال مصابيح كهربائية في تيارها العالي، والله المستعان.

الهوامش:

(1) أنظر رحلة الورثيلاني: ص 8 ـ 11 ـ 27 ـ وشوارق الأنوار .. فصل «خاتمة».

(2) أنظر الجيلالي: تاريخ الجزائر العام: ج 2، ط 6: الدول الحفصية، والمرينية، والزيانية. مبارك الميلي تاريخ الجزائر القديم والحديث. ج 2، ط 2. الدول الحفصية.

(3) أنظر كلا من: الرحلة الورثيلانية، مطبوعة، وشوارق الأنوار.. (مخطوط)، وشرح وضيقة الشيخ يحي العيدلي ، أحمد الخروبي الطرابلسي (مخطوط)، ونمط عرضها للمعلومات.

(4) عنوان الدراية.. كتاب في الأعلام لاحمد الغبريني، طبع ثلاث مرات الى الآن: 1) بالجزائر ـ المطبعة الثعالبية بتحقيق الدكتور محمد بن أبي شنب.
2) بالجزائر بعناية رابح بونار.

3) بيروت ـ لبنان ـ بعناية عادل نويهض. وهو موسوعة جيدة في بابها، وفي تاريخ الجزائر الثقافي.

(5) مجلة الوطن العربي التي تصدر بباريس ـ السنة 9، العدد 428 الصادر يوم الجمعة 4/26 ـ 1985/5/2م ص 54ـ55 ركن مقابلات للحبيب السالمي، تحت عنوان مؤرخ الثقافة الجزائرية.

(6) شوارق الأنوار .. فصل «خاتمة» (مخطوط).

(7) الرحلة الورثيلانية ص 8ـ9.

(8) لا تزال هذه العادة جارية في المنطقة.

(9) شوارق الأنوار .. فصل (خاتمة).

(10) شوارق الأنوار.

(11) شوارق الأنوار...

(12) الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ج 2، ط. 6 ص 272ـ276.

(13) شوارق الأنوار... فصل «خاتمة».

(14) معجم أعلام الجزائر ـ ط 2، ص 90ـ91.

(15) معجم أعلام الجزائر، ط 3، ص 32.

(16) شوارق الأنوار.. وصل (خاتمة).

(17) الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ج 2، ط 6. ص 86.

(18) شوارق الأنوار.. فصل «خاتمة».

(19) شوارق الأنوار... فصل «خاتمة».

(20) الزيطوط ـ حمام بري.

(21) العَزْلَة : أرض تزرع لفائدة شخص هدية له من صاحبها، أو أرض ملك لشخص يزرعها غيره له هدية وتكريما له.

(22) آمالو: منطقة من بني عيدل في السفوح العليا لجبلهم، المقابل لجبل أكفادو، بجرجرة، وفيها معهد (زاوية) سيدي أحمد بن يحيى، معهد قديم أيضا، ومنها أسرة (فارس) الشهيرة بالمنطقة.

(23) شوارق الأنوار.. فصل «خاتمة» بتصرف.

(24) الرحلة الورثيلانية ص 9 ـ وتعريف الخلف برجال السلف جـ 2، ط 2، ص 110.

(25) الرحلة الورثيلانية ص 8 ـ وشوارق الأنوار... فصل «خاتمة » بتصرف.

(26) الرحلة الورثيلانية ص 8ـ9 ـ وشجرة النور الزكية ط ص 267ـ268.

(27) معجم أعلام الجزائر، ط 2، ص 90ـ91.

(28) الرحلة الورثيلانية ص 807.

(30) الرحلة الورثيلانية ص 9.

(31) شوارق الأنوار فصل «خاتمة» نقل كامل.

(32) معجم أعلام الجزائر ط 2، ص 40 ـ نيل الابتهاج ص 322 وتوفي ابن علي (882 هـ/ 1477 م) وله كتاب مخطوط تحت عنوان: **الأسلوب الغريب بالتعلق بالحبيب**، مرقون بمكتبة ابن أبي داود تباسنت ـ وأقبو.

(33) الرحلة الورثيلانية (أرقام متعددة) ـ شوارق الأنوار ـ فصل «خاتمة» تعريف الخلف برجال السلف ص 160.

(34) الرحلة الورثيلانية في عدة أماكن ب يسهل الاهتداء إليها ـ وكذا في تعريف الخلف برجال السلف .. الذي ينقل من الرحلة.

(35) الرحلة الورثيلانية ص 11، 13.

(36) مجموع مخطوط في الأخبار والأنساب والتواريخ ـ الكتاب رقم 2.

(37) الرحلة الورثيلانية ص 72.

(38) الكتاب رقم 9 من المجموع المخطوط نقلا عن كتاب ابن فرحون الكبير المسمى: **الأنوار في ذكر الشرفاء الأحرار، والصلاة على النبي المختار، وعلى آله وصحبه الأخيار.**

(39) الكتاب رقم 9 من المجموع المخطوط جاء فيه ما يلي:

.... ذكر القرطبي في كتابه « **النهاية في ذكر الأشراف القاطنين بوطن بجاية** في الباب التاسع والعشرين منه ما يلي بتصرف: «.. ان (في) بني وغليس رجلا شريف الأصل ، كريم الأخلاق والشيم، يقال له : سيدي أحمد بن عبد الله الشريف، الملقب بأفروح، الساكن بقرية «ثال انتهوت» وسميت القرية بذلك.. ان هناك غير ماء ، وعلى رأس العين حجرة عظيمة، وفي تلك الحجرة ثلاث عشرة ثقبة يخرج من النقور الفوار على هيئة الضباب، وسميت القرية بذلك (تعين قرية الضباب) تلال انتهوت، ثهوت = لبضباب، وسكنها هذا السيد لكثرة عبادته لربه، وديانة ووفور علمه وعمله..

«.. ولقب بأفروح لأنه كان عظيم اللحية، جيل الصورة، وجعل في طرف سبحته نصف مشط يسرح به لحيته، وشعر رأسه، ونصف المشط عند قومه يدعى (أفروم).»

وذكر الوانوغي، نقلا عن ابن الأثير ـ في كتابه المسمى: **ذكر الأعيان في أصل عمارة البلدان والأوطان**، ما يلي بتصرف: «... ان وادي بجاية من أقبو الى ثيكلات، يسمى عند قدماء العجم: وادي الصومام وكان خاليا من العمارة، فأتى اليه رجل يقال له: وغليس، فاستوطنه، فولد له عشرون ولدا فتفرعت من الأولاد الفروع بلغت نيفا وثمانين فرعا، وعمر كل واحد مكانا، فنسبت القرية اليه، والدوار الى أبيهم، فقيل له: بنووغليس.

وكان هذا الرجل في بدء أمره جاهلا بأحكام الإسلام، ثم أسلم، وحسن إسلامه، وأولاده كذلك الا أنه كريم حاذق فاهم عارف باسيبابة، فظهر أمره الى سائر الأقطار، واشتهر فضله فقصده الأشراف والعلماء والأولياء والصلحاء للسكن معه في وطنه لكثرة جوده، وجود أولاده فاجتمع عنده من الأشراف ما لم يوجد عند غيره. فهذا أصل عمارة هذا الوطن. والله أعلم..

(40) عن الشيخ المهدي البوعبدلي، مشافهة، وعن الرحالة التونسي: برنار ـ انظر تراجم المؤلفين التونسيين ط 1، ص 122 ـ 126.

(41) الرحلة الورثيلانية ص 9 جاء أنه بنى مسجده. وتحرّي كثيرا في تحديد قبلته.. في حكاية..؟

المصادر والمراجع المستشارة

المخطوطات:

1 ـ الورثيلاني ـ الحسين: **شوارق الأنوار، في تحرير معاني الأفكار، لوظيفة الشيخ العارف بالله النبراس المختار (يحي العيدلي).**

فيه فصل بعنوان : **خاتمة في فضائل الشيخ**

مخطوط في مكتبة الشيخ بودريوه بهلول (الهاشمي) ببجاية.

2 ـ مجموع مخطوط في الأخبار، والأنساب، والتواريخ فيه 15 خمسة عشر كتابا، ووثيقة في 148 صفحة بخط محمد الطاهر الزواوي المنصوري، والكتب والوثائق المعنية هنا هي ذات الأرقام التالية: الأولى ـ والثانية، والثالثة والرابعة والسابعة والتاسعة والحادية عشرة.

مخطوط في مكتبة الشيخ بودريوه بهلول (الهاشمي) ببجايه.

3 ـ الفراوسني ـ محمد بن علي الزواوي : **الأسلوب الغريب في التعلق بالحبيب** مرقون بمكتبة الشيه أبن أبي داود بتاسلنت ـ وأقبو ـ وبجاية.

المطبوعات:

4 ـ الورثيلاني ـ الحسين : **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار** المشهور بالرحلة الورثيلانية.

الطبعة الثانية (1394 هـ ـ 1974 م) المنقولة عن الطبعة الأولى الجزائرية بتحقيق الدكتور محمد أبي شنب، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت لبنان.

5 ـ الحفناوي أبو القاسم: تعريف الخلف برجال السلف ـ الطبعة الثانية (1402 هـ 1982 م).

المنقولة عن الطبعة الأولى الجزائرية ـ الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، لبنان.

6 ـ نويهض عادل : **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ـ** أطبعة الثانية (1400 هـ ـ 1980 م) مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ـ بيروت لبنان.

7 ـ الجيلالي عبد الرحمن : **تاريخ الجزائر العام** ـ الجزء الثاني، الطبعة السادسة (1403 هـ/1983 م) طبع ونشر دار الثقافة بيروت لبنان.

8 ـ الميلي مبارك بن محمد الهلالي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ـ الجزء الثاني الطبعة الثانية (1963) طبع : أبدران وشركاه ـ بيروت لبنان ـ الناشر مكتبة النهضة الجزائرية.

9 ـ مخلوف محمد بن محمد: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**.

المطبعة السلفية، ومكتبتها بالقاهرة سنوات (1349 هـ ـ 1352 هـ).

10 ـ ابن فرحون ابراهيم : **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**.. وبهامشه .

11 ـ بابا التنبكتي أحمد: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**. الطبعة الأولى (1329 هـ ـ مطبعة السعادة ـ بالقاهرة ـ مصر.

12 ـ محفوظ محمد : **تراجم المؤلفين التونسيين**

الطبعة الأولى (1982 م) الجزء الأول ـ دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ لبنان.

المجلات :

13 ـ مجلة التاريخ: عدد 18 النصف الأول من سنة 1985 م ص 107 ـ 123 مجلة جزائرية مقال للدكتور سعد الله أبو القاسم تحت عنوان: **من أخبار شعبان باشا داي الجزائر 1695**

14 ـ مجلة الوطن العربي: الصادرة بباريس السنة التاسعة، العدد: 428، الصادر يوم الجمعة من (4/26 ـ إلى 1985/5/2) ص 54ـ55.

مقابلة مع الدكتور أبو القاسم سعد الله: للحبيب السالمي تحت عنوان: **مؤرخ الثقافة الجزائرية**.

اسبانيا توسط الجزائر لابرام صلح مع تونس

يحي بو عزيز

كانت اسبانيا في القرن الثامن عشر تعاني مشاكل وصعوبات في حوض البحر المتوسط ومياه المحيط الأطلسي، وذلك من طرف القراصنة الأوروبيين: الأنجليز، والسويديين، والهولنديين، والإيطاليين، والأمريكيين، ومن طرف البحريات الاسلامية المغربية، خاصة الجزائرية منها، فتعرضت تجارتها البحرية الى كساد وتدهور، وتعرضت مراكبها البحرية الى مزيد من الأخطار، والتهديدات، خاصة من طرف البحرية الجزائرية.

وكانت سياسة الوزير الأول الاسباني الكوندي دي أراندا: El-Conde de Aranda تنبني على ضرورة الاعتماد على القوة لمواجهة البلدان المغاربية، وبحرياتها الإسلامية التي كان لها نوع من التفوق البحري في هذه الفترة. ولكن خلفه في هذا المنصب: خوزي رودريقيز مونينو الكوندي دي فلوريدا بلانكا : José Rodriguez Monino El Conde de Florida Blanca. الذي تولى منصب الوزير الأول ووزير الخارجية من عام 1777 الى عام 1792، سلك سياسة أخرى مغايرة لسياسة سلفه، وهو محامي قانوني. وسياسي حاذق، تولى منصبا ديبلوماسيا في إيطاليا قبل أن يصبح رئيسا